

للتوحيد أهمية كبيرة في حياة الفرد والمجتمع، وتظهر أهميته فيما يلي:

التوحيد أساس الدين:

فهو معنى (لا إله إلا الله)، ولو انتقض انهدم الدين كله؛ قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْطَبَنَّ عَلَيْكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة الزمر: ٢٥]، وهذا خطاب للنبي ﷺ، فلا مته أولى.

التوحيد أول حياة الفرد وآخرها:

فلا يكون الإنسان موحدًا حتى يشهد أن لا إله إلا الله، ولا يموت على التوحيد إلا بهذه الشهادة؛ فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ» [مسلم (٤٣)]، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاسْتَقْبَلَ قِبَلَتَنَا، وَصَلَّى صَلَاتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا، فَهُوَ الْمُسْلِمُ؛ لَهُ مَا لِلْمُسْلِمِ، وَعَلَيْهِ مَا لِلْمُسْلِمِ» [البخاري (٣٩٣)].

وجاءت الإشارة إلى هذا المعنى في قراءة سورتي الإخلاص والكافرون:

- في سنة الفجر؛ إشارة إلى أن المسلم يبدأ يومه بالتوحيد.

- في سنة المغرب؛ إشارة إلى أنه يختم يومه بالتوحيد.

- في سنة الوتر؛ إشارة إلى أنه يختم ليلته بالتوحيد.

التوحيد موضوع القرآن:

فالقرآن كله في التوحيد؛ بل «إِنَّ كُلَّ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ هِيَ مُتَضَمِّنَةٌ لِلتَّوْحِيدِ، شَاهِدَةٌ بِهِ، دَاعِيَةٌ إِلَيْهِ؛ فَإِنَّ الْقُرْآنَ: إِمَّا خَبَرٌ عَنِ اللَّهِ، وَأَسْمَاءُ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَإِمَّا دَعْوَةٌ إِلَى عِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَخَلْعُ كُلِّ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ، وَإِمَّا أَمْرٌ وَنَهْيٌ، وَالزَّامُ بِطَاعَتِهِ فِي نَهْيِهِ وَأَمْرِهِ، وَإِمَّا خَبَرٌ عَنِ كَرَامَةِ اللَّهِ لِأَهْلِ تَوْحِيدِهِ

وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، وَإِمَّا خَبَرٌ عَنِ أَهْلِ الشُّرْكِ، وَمَا فَعَلَ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ النَّكَالِ، وَمَا يَجِلُّ بِهِمْ فِي الْعُقُوبِ مِنَ الْعَذَابِ». [مدارج السالكين (٤١٦/٢)] بتصرف]

ومن نظر في ترتيب المصحف بتأمل وتدبر؛ يجد أن:

- أول فعلٍ ذُكر في المصحف هو تخصيص الله ﷻ بالعبادة (التوحيد)؛ قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة: ١].

- أول أمرٍ ذُكر هو أمرٌ بالتوحيد؛ قال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢١].

- أول نهيٍ ذُكر هو نهي عن الشرك؛ قال الله ﷻ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢٢].

التوحيد دعوة الأنبياء:

فقد أجمع الأنبياء رضي الله عنهم كلهم على الدعوة إلى التوحيد؛ قال الله ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء: ٢١]، وكان نبينا ﷺ داعيًا إلى التوحيد حتى توفاه الله ﷻ؛ «فلم تخلُ دعوته من إعلان التوحيد وشواهد، ومحاربة الشرك ومظاهره، ويكاد ينحصر غرض البعثة أولًا في ذلك؛ فلا ترك النبي ﷺ التثديد بالأصنام وهو وحيدٌ، ولا ذهل عنه وهو محصورٌ بالشعب ثلاث سنواتٍ شديداً، ولا نسيه وهو مختفٍ في هجرته والعدو مشددٌ في طلبه، ولا قطع الحديث عنه وهو ظاهرٌ بمدينته بين أنصاره، ولا غلق باب الخوض فيه بعد فتح مكة، ولا شغل عنه وهو يجاهد وينتصر، ويكرُّ ويفرُّ، ولا اكتفى بطلب البيعة على القتال عن تكرير عرض البيعة على التوحيد ونبد الشرك، وهذه سيرته المدونة، وأحاديثه المصححة، فتتبعها تجد تصديق ما ادَّعينا، وتفصيل ما أجملنا». [رسالة الشرك ومظاهره (ص ٤٥)]

التوحيد سبب قتاله ﷺ لقومه:

ولذا قال النبي ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ» [البخاري (٢٥)، ومسلم (٣٦)].

التوحيد مقدّم على الجهاد:

فعن أبي واقد الليثي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى حنين مرَّ بشجرةٍ للمُشركين يقال لها: ذات أنواط؛ يعلقون عليها أسلحتهم، فقالوا: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواطٍ كما لهم ذات أنواط، فقال النبي ﷺ: «سُبْحَانَ اللَّهِ! هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [سورة الأعراف: ١٣٨]، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» [الترمذي (٢١٨٠)].

فضائل التوحيد

الموحد يدخل الجنة:

قال الله ﷻ: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢٥].

الموحد تكفر ذنوبه:

قال الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة العنكبوت: ٧]، وقال الله ﷻ في الحديث القدسي: «يَا ابْنَ آدَمَ! لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تَشْرِكُ بِي شَيْئًا أَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً».

وفي حديث البطاقة قال رضي الله عنه: «فَتَوَضَّعَ السَّجَّاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ فَطَاشَتِ السَّجَّاتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، وَلَا يَثْقُلُ

أهمية التوحيد



لأبي عبد الله حسن بن داود بوفيل
عفا الله عنه



الموحد له الحياة الطيبة:

قال الله ﷻ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ [سورة النحل: ٩٧]، وقال ﷻ: ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [سورة المجذ: ١٠].

الموحد تستغفر له الملائكة:

قال الله ﷻ: ﴿الَّذِينَ يَمْجُلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [سورة غافر: ٧].

الموحد يخفف الله عنه المكاره:

ولذا قال النبي ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ: إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ» [مسلم (٢٩٩٩)].

الموحد وعده الله ﷻ بالنصر:

قال الله ﷻ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [سورة النور: ٥٥]، وقال ﷻ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الزمر: ٤٧]، وقال ﷻ: ﴿فَأَيُّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَاصْبِحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [سورة الصافات: ١٤].

الموحد يدافع الله عنه:

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [سورة المجذ: ٣٨].

أسأل الله ﷻ أن يجعلنا ممن حقق التوحيد، والحمد لله رب العالمين.

مَعَ اسْمِ اللَّهِ تَعَالَى شَيْءٌ» [«صحيح الجامع» (١٧٧٦)].

الموحد يحبب الإيمان إلى قلبه:

فإذا كمل توحيد العبد حبيب الله ﷻ إليه الإيمان؛ قال الله ﷻ وهو يخاطب أهل الإيمان: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال الله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [سورة الفتن: ٤].

الموحد وليه الله ﷻ:

قال الله ﷻ: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٧].

الموحد يجعل الله ﷻ له ودا:

فأهل التوحيد يحببهم الناس؛ قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [سورة مريم: ١٦].

الموحد خير الناس:

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُم خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [سورة البقرة: ٧].

الموحد له الأمن والهداية:

فالموحد آمن ومُهدى في الدنيا والآخرة؛ قال الله ﷻ: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٨٢].

الموحد يثبتته الله ﷻ:

قال الله ﷻ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [سورة الأنعام: ٢٧].

الموحد ليس للشيطان عليه سلطان:

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطٰنٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [سورة النحل: ١١].